محاضرة رقم ٢	
الكلية	التربية للعلوم الانسانية
القسم	التاريخ
المادة باللغة العربية	فلسفة التاريخ
المادة باللغة الانجليزية	philosophy of history
المرحلة	الثالثة
السنة الدراسية	٢٠٢٣ / ٢٠٢٤
الفصل الدراسي	الأول
المحاضر	د. أحمد محمود حمود
العنوان باللغة العربية	تفسير الديانات السماوية الكبرى للتاريخ
العنوان باللغة الانجليزية	Interpretation of the Great Divine Religions of History
المصادر والمراجع	فلسفة التاريخ – غوستاف لوبون
	ابن خلدون – المقدمة
	فلسفة التاريخ في الفكر الاسلامي – عبد الرحمن بدوي

المحاضرة : الثانية

تفسير الديانات السماوية الكبرى للتاريخ

تعد إشكالية التفسير أهم مقومات دراسة التاريخ، إذا تتعلق بالكشف عن الأسباب والعلل التي تحرك الأحداث والوقائع , فعندما فقدت الأديان في العصور القديمة أصولها ، أصبحت فريسة العابثين والمتلاعبين ، فجميع الديانات أفلست وحُرّفت وصارت بلا روح إلا بقية لا تذكر . طغت على الكتابات التاريخية قديماً الجانب الديني البحت ، فدخلت عليه الخرافات والطقوس فاختلطت الحقيقة بالخيال ، وقدمت للأجيال تبريرات على أنها صحيحة . إن النظرة الدينية للتاريخ هي في جوهرها نظرة لاهوتية تربط أحداث التاريخ ومساره بأسباب وعلل تقع خارج التاريخ، وقد اختلفت الديانات السماوية الثلاث في تفسير وتحديد مسار التاريخ، باعتمادهم على النص الديني وسير الأنبياء، فكيف فسرت الديانات السماوية الثلاثة اليهودية والمسيحية والاسلام التاريخ؟

١:- التفسير اليهودي

لم تتخذ الديانة اليهودية التي أقترن ظهورها بالنبي موسى (عليه السلام) وكتابها المقدس (التوراة) شكلاً ثابتاً ومحدداً من غاية التاريخ وهدفه منذ بداية ظهورها . بل أن تاريخ هذه الديانة يبين أن موقفها من التاريخ قد طرأ عليه تطور متعاقب . فقد أختلف اليهود من ناحية والمسيحيون من ناحية أخرى حول قائمة (الأسفار) التي تضمنتها التوراة . كما أتخذ الإسلام موقفاً خاصاً من التوراة المتداولة بين اليهود . فضلاً عن اختلاف اليهود والباحثين حول نسبة هذه الأسفار وجمعها.. مع الأخذ بنظر الاعتبار اختلاف الفرق اليهودية ذاتها حول ذلك ومنهم الفريسيون والصدوقيون والسامريون والحسديون والقراؤن والأكبرية . كما أن الجهود التي قام بها كثير من الباحثين وعلماء التاريخ في التوراة ، والمتعلقة بالتاريخ خاصة أجمعوا على أن هذه التوراة المتداولة ليست وحدة تأليفية ، بل هي تجميع قام به افراد متعددون في أوقات مختلفة . ومن هنا يتبين تطور وغموض هذه الديانة في موقفها من التاريخ على خلاف ما هو مبين في المسيحية والإسلام .

أكدت اليهودية لا سيما في (سفر التكوين) على فكرة التوحيد ، الا أن اعتقادها هذا طغى عليه بادئ الأمر النظرة العنصرية الضيقة . ومن ثم تطورت نظرتها اللاهوتية ، هذه مع الزمان ليغدو الإله ليس مقصوراً عليها فقط ، وإنما للبشر أجمعين ولحوادث التاريخ في التوراة حكمة ومغزى روحي واخلاقي. ويبدو مجرى التاريخ فيه محتماً على البشر لا سلطة للإنسان في التأثير فيه أو تبديله . كما أخضعت هذه الديانة سلوك الفرد إلى قواعد وأن يتعامل بها مع مفردات الزمن . فهي ديانة شعائر وتشريع معاً . أضافة الى إصرارها على قيام (قانون خلقي) ينظم سلوك الأنسان من الولادة الى الموت .

<u>ويمثل العهد القديم من الكتاب المقدس (الذى يضم التوراة اليهودية مع عدد من الأسفار الخاصة بالديانة اليهودية) أقدم نمط من أنماط القراءة الدينية للتاريخ .</u> إذ إننا عندما ننظر إلى ما جاء بالعهد القديم باعتباره تاريخ لليهود ، نجد العناصر الأسطورية والغيبية تمثل لحمة هذه الكتابات اليهودية وسداها من ناحية ، ولكن هذه الكتابات تقدمت خطوة بالفكر التاريخي عندما عدلت العناصر الأسطورية والغيبية بحيث تناسب القراءة الدينية اليهودية للتاريخ . لقد كان التراث الأسطوري موجوداً في المنطقة التي عاش فيها اليهود قبل وجودهم ؛ وانتحلوا هذا التراث ونسبوه لأنفسهم في فترات زمنية لاحقة حسبما يشير المتخصصون في هذه الدراسات .

وهكذا استندت اليهودية في نظرتها إلى التاريخ على فكرة السيطرة الإلهية . وبداية التاريخ البشري ترجع إلى (الله سبحانه وتعالى) فهو الذي خلق الأرض والكائنات وخلق الإنسان على صورته كما أرتبط

التاريخ لدى اليهود بفكرة الخطيئة ، واحتوائه على الشر . ويظهر بذلك أن للإنسان مطلق الحرية في طاعة الله وعصيانه . الا أن معصية الأنسان لله هو جوهر الشر وأصله . ورغم الخطيئة فأن الله (سبحانه وتعالى) لم يباعد بين ذاته وبين البشر . إذ ذهب اليهود إلى أن الله (سبحانه وتعالى) ظل دائماً على أتصال بالناس في التاريخ .

فالقراءة اليهودية للتاريخ ترى فيه مجرد تاريخ بنى إسرائيل ؛ كما أن عامة اليهود يعتقدون أن الهدف النهائي للتاريخ تشييد مملكة الرب على يد " المخلِص " الذى سوف يأتي فى آخر الزمان ليشيد مملكة الرب في أرض الميعاد . هذه القراءة تتعامل مع تاريخ اليهود وحدهم : وهو ما يعنى أن من الصعب أن نستخرج من هذه القراءة أي قوانين تحكم حركة التاريخ البشري كله ؛ لأن أية فلسفة للتاريخ ينبغي أن اخذ في اعتبارها أحوال البشر جميعا ، لا أن تقتصر على جماعة بشرية بعينها دون غيرها . بيد أن هذا الموقف اليهودي من التاريخ يمكن تفسيره في إطار الحقيقة القائلة إن القراءة اليهودية للتاريخ كانت مجرد مرحلة انتقالية بين القراءة الأسطورية للتاريخ من جهة ، والقراءة الوضعية للتاريخ بوصفه فعاليات بشرية من جهة أخرى . ومن ناحية أخرى ، كانت هذه القراءة اليهودية قراءة محلية محدودة في حدود جماعة بشرية واحدة.

٢ – التفسير المسيحي :

تعد المسيحية الديانة الثانية بعد اليهودية . وقد أقترن ظهورها بالمسيح عيسى (عليه السلام). وعلى الرغم من الاختلاف بين الفرق والمذاهب المسيحية المتعددة حول تفسير أحكام هذا الدين . الا أنها أجمعت على كون العهد الجديد، بمثابة المرتكز الأساس له . وقد ضم القصص الأربع الحياة السيد المسيح المعروفة ب , الأناجيل ، وهي : (لوقا ومرقس ومتى ويوحنا) هذا إلى جانب «اعمال الرسل » والرسائل والرؤيا اللاهوتية .

أكدت المسيحية على تعاليم ومُثل أخلاقية غاية في المثالية أكثر مما هي تشريعية. وتحددت مواقف المسيحية في تقديم حركة التاريخ بخطوات ومراحل متعددة :

أولاً : تأكيدها على فكرة الخطيئة التي جاءت أثر « سقطة أدم » ثم استمرارها في التاريخ.

ثانياً :– فكرة التجسد حيث ساد الاعتقاد في النظرة المسيحية التقليدية أنه بعد تلوث البشر بالخطيئة هذه ، غدا . من الضروري أن يجيء (الله سبحانه وتعالى) إلى التاريخ في صورة بشرية ، وقد تجد ذلك – ببعثة المسيح ». والتجسد هنا يحصل مرة واحدة ولا يتكرر في التاريخ. وخلاله أقام – المسيح الكنيسة، بجمعه لتلامذته الاثني عشر بتأثيره الشخصي، وأسلوب حياته وتعاليمه.

ثالثاً:- فكرة الصلب أو الفداء ، وقد مثل ذلك ب وفاة المسيح على الصليب ، رمزاً للتكفير عن أخطاء البشر ودليلا لخلاص البشرية من الآثام والخطيئة.

رابعا – فكرة القيامة ، التي تمثلت (بقيامة المسيح) بعد الصلب ثم صعوده إلى السماء. ليعطي البشر بذلك تأكيداً بالخلود . وقد أشارت الأناجيل إلى أن المسيح ظهر مراراً بعد قيامته وفي أماكن متعددة . في حين اختلفت الآراء بين المسيحين أنفسهم حول فكرة تجسد المسيح وألوهيته .

لقد أكدت المسيحية أن الله (سبحانه وتعالى) حاضر في التاريخ في صورة الروح القدس ومن هنا تصورت : هذه الديانة الله (سبحانه وتعالى) في صورة ثالوث (الأب والابن والروح القدس) . فقد أعتقد المسيحيون في الأب كونه خالق الدنيا وباريء البشر وقد طوّع التاريخ بذاته السامية . أما « الأبن » فقد نظروا اليه على أنه .. المخلص ، الذي قصد به أن يرد التاريخ إلى هدفه الذي أراده الله منه . في حين غدا الروح القدس بنظرهم بوصفه المزكي والمطهر للبشر خلال العملية التاريخية .

لقد بدا لبعض الباحثين أن اتجاهات هذه الديانة على الرغم مما انطوت عليها من الدعوة للزهد إلى حد ما. فأنها لم تكن في جوهرها فرار مطلقاً من التاريخ، ولا رفضاً للتاريخ المؤقت الزائل تفضيلا للخالد الأبدي . ومن هنا جاءت بتعاليم أكدت بها على الصدق والنزاهة والخير والجمال والتسامح والتوجه بالقلب لخدمة الآخرين والاتصال بالله (عز وجل) وفي تعاليم أخرى ، يلحظ دعوتها إلى غنى النفس وسموها : « ماذا ينتفع الأنسان لو ربح العالم وخسر نفسه » كما دعت إلى السلام ونبذ القوة : « كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون» . أضافة إلى دعوتها إلى الزهد في التملك وتفضيل الروح على المادة ثم ربط ذلك بالخلود الذي يقرر شأنه الله (عز وجل) وحده .

وهكذا فأن فكرة بداية ونهاية التاريخ في المسيحية. كما يشير القديس أوغسطين تدور حول كل من « المؤقت و الأبدي , فالله (عز وجل) . أبدي خالق الزمن ولا يجوز فهم الأبدي ولا وصفه من وجهة نظر المؤقت . وقد أوضح المؤرخ والفيلسوف الامريكي ويد جيري ، أن هناك ثلاث نظريات تدور حول المصير النهائي للبشر ويعتقد فيها المسيحيون وهي : (الخلاص الشامل) و (الخلاص المشروط) و (السعادة الأبدية) . ومن هنا يظهر التاريخ المؤقت في المسيحية بأنه لا يحتوي على متن كامل في حد ذاته . بل وسيلة لبلوغ غاية التاريخ كما حددها الله (سبحانه وتعالى) أي الزمن الخالد والأبدي .

٣- التفسير الاسلامي :

ظهرت الديانة الإسلامية بين المسيحية بحوالي ستة قرون (٦١٠ م) وتستند على أركان اساسية خاصة هي : التوحيد ، أي الايمان بالله الواحد الذي لا شريك وله وأن محمدا رسول الله ، وخاتم الأنبياء سيد

المرسلين ، إلى البشرية مبشراً ونذيراً. فضلاً عن اقامة الصلاة وأداء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع اليه سبيلاً ، كما يعد القرآن الكريم بمثابة المعجزة ، والكتاب المقدس لدى المسلمين . وهو بدوره كلام الله (عز وجل) المنزل على الرسول محمد (عليه الصلاة والسلام) بطريق الوحي , وفي الاسلام يغدو نزول القرآن بمثابة نقطة الدوران الرئيسة في التأريخ. ولا يجوز أن تحصل البشرية على هدايتها إلا به . ويذهب الإسلام الى أن الأديان السابقة أبلغت إلى الأمم والبشر على نحو ما جاء به الاسلام . ولكن هم الذين غيروا فيها وبدلوا متأثرين بنزعاتهم التي قضت بها تقاليدهم بمرور الوقت .

إن المنطلق الجوهري للتاريخ في الإسلام هو الله (سبحانه وتعالى) . فهو خالق التاريخ والحاضر فيه دائماً وهو الذي يحدد نهايته وبهذا فإن إرادته هي محور الزمن الكلي المطلق و « النهائي » و « اللانهائي» يتحدد بأمره : " هو وحده إله الكون : وعالم بكل شيء ليس له شريك . لا مثيل له ولا شبيه قادر على كل شيء ، موجود لا موجد له ، ابدي أزلي موجود في كل مكان . وهناك كثير من الآيات القرآنية التي أكدت ذلك. منها : « أن الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل » و « هو الأول والأخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم » و « له ملك السموات والأرض والى الله ترجع الأمور» .

أما ما ورد في القرآن الكريم من القصص والأحداث التاريخية. فهي دلالات للتفكير والعبرة والذكرى والتبصر الدائب وارشاد الانسان الى الصواب وتجنب الخطأ وتقديم خلاصة للتجارب البشرية : « لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب» ، و « أو لم يسيروا في الارض فينظروا كيف كانت عاقبة الذين من قبلهم » . كما أن عروض القرآن التأريخية لم تنصب على الأنبياء فقط وإنما اتجهت أيضاً إلى اقوام وجماعات مختلفة لها دورها في العملية التاريخية .

ومن الممكن أن نورد إنموذجاً لأحد فلاسفة التاريخ المسلمين من القرن السابع الهجري لقياس مدى تمسك المسلمين بمبادئ القرآن الكريم والنهج الذي أختطه الرسول الكريم (عليه الصلاة والسلام) ، ولقياس مدى رسوخ العقيدة الإسلامية لديهم، بعد قرون من بداية الدعوة الإسلامية وعصر إبن الأثير (المتوفى سنة ٦٣٠هـ)، لقد حرص المفكرون العرب على حماية الدولة والمجتمع من عوامل التفكك والإنهيار فراحوا ينبهون عن مخاطرها ويحثون على إصلاح الخلل، بعد أن دخلت في القرن السابع من عمرها وبدأ الضعف يتسلل إليها، ومن بينهم أبن الأثير الذي درس العوامل الكامنة وراء ضعف الأمة الإسلامية، بعد أن أستقرأ الماضي المشرق ووقف على الحاضر المتدهور، وقرن التاريخ بنشاط الدولة، مقارناً بين الماضي والحاضر، مفسراً حركة التاريخ بالنقاط الآتية:

أ- أن الله هو المحرك التاريخ العام للأمم، وأن حوادث التاريخ الجسيمة مرتبطة بالمنطق التأديبي.

ب- أن جوهر الحقيقة التاريخية يكمن في المعارف والتجارب الحيوية، وليس في كتب التاريخ

وحدها.

ت- أن مصدر التجربة العقلانية للأمة والحكام يكمن في الماضي الاصيل.

ث- الدولة وسيلة التاريخ وقوة حركته الدافعة، وهي لا تستقيم إلا بحاكم عاقل يسترشد بالجيد من خطط الماضي لبناء الحاضر.

ج- على الأنسان الالتزام بالسلوك الحسن والحميد وأن يتعود على الصبر في الحياة الدنيا ليكسب الأخرة.

د- رفض القصص الاسطورية والخيالية وما لا يقبله العقل في التاريخ، وآمن بقدرة العقل على تجاوز ذلك، وأن حوادث التاريخ مرتبطة بعللها والنتائج بأسبابها.

الخصائص الأساسية للتفسير الاسلامي للتاريخ :.

١- المرونة وعدم التأزم المذهبي:

يتميز الموقف الإسلامي من التاريخ بمرونته وبعده عن التوتر أو التأزم المذهبي الذي يسعى إلى قولبة الوقائع التاريخية، وصبّها في هيكله المسبق، واستبعاد أو تزييف كل ما لا ينسجم وهذا الهيكل، الأمر الذي يوقع التفاسير الوضعية في كثير من الأخطاء والانحرافات. هذا إلى جانب أن الفكر الوضعي لا بد وأن يتأثر بطبيعة العصر الذي يعيشه سلبًا وإيجابًا، وبدرجة أو أخرى.

٢- الواقعية:

إن رؤية التفسير الإسلامي للأحداث رؤية واقعية شاملة في امتداداتها الزمنية الماضية والحاضرة والمستقبلية. فيما كانت عليه، وما هي عليه، وما سوف تكون عليه. إنه -مثلاً- يعترف بالتمايز القومي، ويعطي لهذا العامل (الواقعي) حجمه الحقيقي، على الرغم من نزعة الإسلام العالمية، واستعلائه على الكيانات المحدودة المنغلقة على الإقليم أو اللون أو الجنس. ويؤكد على ضعف الإنسان وتقلبه وعجلته، على الرغم من أنه جاء بمبدأ الاستخلاف الذي رفع به الإنسان إلى أعلى مصاف، وأمر الملائكة بالسجود له.

٣- الشمولية:

ينفتح التفسير الإسلامي للتاريخ على كافة (القوى الفاعلة) في الحركة التاريخية: المنظورة وغير المنظورة، العقلية والوجدانية، المادية والروحية، الطبيعية والغيبية. ويرفض تجزؤ الرؤية وعزل الأرض عن موقعها الصحيح في الكون، وارتباطاتها الشاملة بما حولها.